لما ذا سميت عصر المأمون بعصر الذهبي؟

Why was the era of Al-Ma'mun calling the golden age?

Dr. Saeeda Bano
Assistant Professor, GCWUF.

Dr. Najma Bano
Professor, Govt College for Women Peoples Colony Faisalabad.

Received on: 02-07-2023

Accepted on: 03-08-2023

Abstract

Golden ages may have slightly different meanings; they could mean a period of successful conquest, or perhaps a period of peace. The Golden Age of Islam refers to the time when the Islamic empire and the religion of Islam grew rapidly both in terms of expanding land and cultural progress. It saw a massive expansion in the fields of science, medicine, engineering, education and the arts, which would form lasting influences on every part of our modern societies. The Islamic Golden Age closely coincided with the rise and fall of the Islamic Abbasid Caliphate (750-1258). In 762, reigning caliph Al-Mansur relocated the Abbasid capital from Damascus to Baghdad, effectively relocating the center of the Islamic world. Around that same time, the famous **House of Wisdom**, or **Grand Library of Baghdad**, was erected within the city. Hosting thousands of tomes, scrolls, ancient texts, and enterprising scholars from around the world, Baghdad's House of Wisdom was the beating heart of the Islamic Golden Age. progress

Keywords: Golden ages, Empire, Abbasid, Baghdad, Scholars

يعتبر عصر المأمون ألع عصر في التاريخ العربي، و يسمى بحق عصر الإسلام الذهبي، فالذي لاريب فيه أن السنوات العشرين التي قضاها في خلافة المسلمين قد تركت آثارا خالدة لتطور المسلمين العقلي في جميع الحقول الفكرية، ذلك أن منجزاتهم لم تقتصر على أي فرع معين من فروع العلم و لأدب، بل شملت كل ناحية من عالم الفكر و العقل، فازدهرت الفلسفة والرياضيات وعلم الفلك و الطب و قطعت خطوات عظيمة خلال تلك الحقبة المجيدة من المدينة الآسوية، و انتقل تراثها العقلي إلي اسبانية الاسلامية و القسطنطينية المسيحية، و منها تحدرت إلى أروبة الحديثة، و قد أنشأ المأمون المدارس و الكليات في جميع إنحا الدولة، كل أنشاء مجلسا استشاريا للدولة مؤلفا من ممثلي الطوائف جميعا، فكان هذا المجلس يضم المسلمين و اليهود و المسيحيين و الصابئين و الزرادشتيين على سواء، و شملت حرية المعتقد جميع الناس في عصر المأمون. وواجه المأمون مشاكل عديدة شارك بنفسه في حلها و تمكن بذكائه و كياسته من المحافظة على وحدة الامة الإسلامية و تجنبها حالة التمزق و التفتيت بالرغم من الصراع السياسي و الاجتماعي و الفكري. و قد سجل التاريخ سلسلة طويلة من الوقائع و الحوادث الخالدة في عصره، و على الجملة لم يسبق أن أعتلي عرش الدولة العباسية خليفة يضاهاية حكمة و بعد النظر.

الحركة الفكرية والعلمية في عهده:

شهد عصر المأمون نهضة حضارية كبيرة، فقد كان المأمون محبًا للعلم والأدب وكان شاعرًا وعالمًا وأديبًا، يحب الشعر ويجالس الشعراء ويشجعهم، وكان يعجب بالبلاغة والأدب، كما كان لفقته نصيب كبير من اهتمامه، وكان العلماء والأدباء والفقهاء لا يفارقونه في حضر أو سفر، وقد أدى تشجيعه للشعراء في أيامه إلى إعطاء الشعر دفعة قوية، وكان تشجيعه للعلوم والفنون والآداب والفلسفة ذا أثر عظيم في رقيها وتقدمها، وانبعثت حركة أدبية وعلمية زاهرة، ونهضة فكرية عظيمة امتدت أصداؤها من بغداد حاضرة العالم الإسلامي ومركز الخلافة العباسية إلى جميع أرجاء المعمورة، فقد استطاع المأمون أن يشيد صرحًا حضاريًا عظيمًا، وأن يعطي للعلم دفعة قوية ظلت آثارها واضحة لقرون عديدة.

كان عهد المأمون من أرقى عهود العلم في العصر العباسي و ذلك لأمرين الأول أن المأمون نفسه قد اشتغل بالعلم وأمعن فيه حينما كان بمرقد جالس كثيرًا من العلماء وأخذ عنهم جملة صالحة من العلوم الدينية كالحديث و التفسير و الفقه و اللغة العربية فكان لذلك محبا للعلم و لا زياد نشره .الثاني : ما كان من الأمة نفسها إذا ذك حيث وجد فيها شوق إلى العلم و البحث و كثرة العلماء في كل مصر من أمصار المسلمين كما سنبينه فتوافق رأي الإمام و استعداد الأمانة فكان من وراء ذلك ما نقصه من تقدم حركة العلم و رفعة بغداد. (1)

يقول هوجز:

أن عصر المأمون ازهى فترة في تاريخ النهضة بالعلم الاسلامى اذ كان خليفة نفسه عالما من أساطين العلماء، و اختارت أصحابه و رجال الدولة من الصفوة الأفاضل في الشرق و المغرب ،هذا ،الى جانب الأساتذة و المستشارين و المترجمين و المفكرين الذين حلّى بهم بلاطه و زين ملكه.

بيت الحكمة و حركة للترجمة و النقل في عهد المأمون:

العصر العباسي على العموم هو عصر ازدهار العلوم ،في الخلافة الإسلامية ،و هذا ما حدا ببعض الباحثين إلى الذهاب إلى أن ظاهرة النقل و الترجمة قد بدأت مع بداية العصر العباسي،الذي انطلق سنة ١٣٢ هـ ،و كان الخلافة الأموية ،و صد الإسلام قبلها،لم يسهما بشيء من الإرهاصات ،التي أدت إلى أن يسمى العصر العباسي بعصر النقل و الترجمة . يسهم شحادة الخوري في هذا التوجه، حيث يكتفي بتقسيم العصر العباسي ،بالنسبة إلى ظاهرة النقل و الترجمة، إلى دورين اثنين فقط:

الدور الأول: يمتد من قيام الخلافة العباسية إلى بداية عهد الخليفة عبدالله المأمون.(١٣٢ هـ -١٩٨ هـ)

الدور الثاني: يبدأ بتولي الخليفة عبدالله المأمون الخلافة ،و ينشط طيلة عهده،و يستمر بعده على وهن و ضعف . يتميز الدور الثاني لنهضة العلمية، يعد هذا الدور لتطور النقل و الترجمة،و يتوج هذا الطور الخليفة عبدالله المأمون ،الذي كان شغوفًا بالعلم و العلماء و الحكمة ،وصل فيها إلى درجة نظر إليها على أنها ضرب من الأفراس المحبب ،الذي نالت فيه الحضارة الإسلامية نصيبا وافرا من التفات إلى الحضارات الأخرى، شرقها و غربها،و ذلك من خلال جلب الكتب العلمية المخطوطة من الشرق

و الغرب ، و نقلها و ترجمتها إلى اللغة العربية. و لقد قيل في تاريخ العلوم :خمسة يوضعون في قمة قيادة الحركة العلمية في العصر الإسلامي الزاهر ،هم المأمون ،و نظام الملك ،و نور الدين زنكي،و الحاكم بأمرالله و صلاح الدين أيوبي.(2) يعتبر عصر الخليفة المأمون العصر الذهبي للترجمة وذلك لأن المأمون تحض بالبلاد تحضة علمية جدية بإعجاب والتقدير، فقد إهتم اهتماماً شديداً بحركة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وقد قويت هذه الحركة بفضل العطاء السخي من قبل المأمون الذي كان وافر العلم وكثير الإضطلاع. نتيجة لذلك حفل عصره بشتى أنواع المعارف الإنسانية. وقد كان المأمون حريصاً كل الحرص على أن يثير في نفوس أصحابه كوامن الرغبة إلى التعميق في العلم، والشوق إلى إدراك حقائق الأشياء، وكذلك كان متطلعاً لمعرفة ثقافات الشعوب غير العربية.

ويقول ابن أبي صبيعة أن اهتمام المأمون بترجمة الكتب اليونانية راجع إلى الرؤيا التي رآها في منامه إذ رأى شيخاً بهي الشكل جالساً على منبر ويقول أنا أرسطاطاليس، وعندما استيقظ المأمون من نومه سأل عن أرسطاطاليس، فقيل له: أنه رجل حكيم من بلاد اليونان فأحضر حنين بن إسحاق وأمره بنقل كتب الحكماء اليونان إلى اللغة العربية، و بذل له من الأموال و العطايا شيئاً كثيراً.(3)

و ذكر نحو ذلك ابن أبي أصبعية صاحب طبقات الأطباء ،و أبو الفرج صاحب مختصر الدول و غيرها.و الغالب في ظننا أنهم نقلوا ذلك عن ابن إسحاق المذكور . و مهما يكن السبب،فلا مشاحة في أن المأمون بذل جهده في استخدام الترجمة لنقل تلك الكتب و غيرها.و كان ينفق في سبيل ذلك بسخاء،حتى أعطى وزن ما يترجم له،و كان يحرض الناس على قراءة تلك الكتب و يرغبهم في تعلمها،و كانوا يخلو بالحكماء و يأنس بمناظرتهم و يلتذ بمذاكرتهم. (4) أن عهد الخليفة المأمون يعد أرقى مراحل النقل و الترجمة ،من حيث الكم و من حيث الكيف ،ففي عهده كثر النقلة و المترجمون ،و كانوا قسمين : قسم ينقل من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية،و قسم آخر ينقل من لغة أجنبية أخرى، كان يترجم من اللغة اليونانية إلى اللغة السريانية ،أو من اللغة السريانية إلى اللغة الفارسية ،حتى إذا انتهى هؤلاء من ترجماتهم تولى مترجمون غيرهم (من الفريق الأول) نقل تلك الترجمات إلى اللغة العربية.

بيت الحكمة:

من أشهر و أعظم المكتبات الاسلامية و قد حرص الخلفاء العباسيون على جميع النفاثس الكتب و نوادرها من المؤلفات العربية و المترجمة عن اللغات المختلفة و قد عمل بها مترجمون و نساخون و خطاطون و مجلدون،أنشأها أبو جعفر المنصور و توسعت في عصر الرشيد و ازدهرت في عصر المأمون.

و عصر المأمون يعتبر من أزهى عصور الدولة العباسية من الناحية العلمية،فقد اهتم بالمسائل الفلسفية و العلمية ء شجع على النهضة الفكرية و نشر العلوم فزود بي الحكمة بمختلف أنواع الكتب من الهند و بلاد الروم و الفرس ،حتى أصبحت أشبه بجامعة علمية تضم دار للكتب يجتمع فيها شيوخ العصر للترجمة و التأليف و التحصيل، كما مواضع للناسخين،و جمع المأمون في مكتبته أعظم المفكرين و العلماء و الأطباء و النقلة و أغدق عليهم العطاء فأصبحت خزانة كتب بيت الحكمة من أثرى

و أعظم خزائن الكتب في ذلك الوقت.(5)

و في خلافة المأمون لقيت الموسومة بيت الحكمة كنوز العلم الاسلامية إلى كنوز العلم الأجنبية و أمر بأن تشتري المصنفات اليونانية من آسيا الصغرى في عهده و استهل أبو يوسف يعقوب الكندي، فيلسوف العرب، واحد العقول الكبرى في تاريخ العالم كما دعاه كاردفو.

كان للخليفة المأمون عناية و اهتمام بيت الحكمة، فعمل على جلب تراث الأمم القديمة، خاصة اليوناني الذي شغف به فأرسل بعثات علمية للبحث عن الكتب اليونانية، و نقلها إلى بيت الحكمة الذي يعتبر بمثابة معهد علمي يضم مكتبة لسخ الكتب الأجنبية، و دار لتعريبها و تدريسها، و أقام المأمون طائفة من المعربين و أجري عليهم الأرزاق من بيت المال، و بذلك حوى هذا البيت تراث الإسلامية إلى جانب تراث الثقافة الأجنبية.(6)

ووقف المأمون كثير الأموال للذين يريدون ان ينقطعوا إلى نقل الكتب الفلسفية إلى اللغة العربية، أما سبب اتساع تلك الحركة في عهد المأمون فهو ان المأمون لما انتصر على الروم وعلم بكتب الفلسفة المخزونة عندهم اهتبل الفرصة و أحب أن ياخذ في شروط صلح مكان المال كتباً. قد ظن و توفيل ملك الروم ذلك كسباً. فقد عده الخليفة علمياً عظيماً. و كان ملوك الروم قد جمعوا الكتب من أيدي الناس، و جعلوها في هيكل قديم، و أغلقوا عليها بابه، ففتح ملك الروم توفيل هذا الهيكل، و أرسل خمسة أحمال من كتب الحكمة إلى خليفة المأمون.(7)

أبرز المترجمين في عصره:

إن أشهر المترجمين في عهد المأمون هم: يوحنا، أويجي البطريق، و الحجاج بن يوسف بن مطير الكوفي، و قسطا بن لوقا البعلبكي، و عبد المسيح بن ناعمة الحمصي، و حنين ابن إسحاق، و ابنه بن حنين، و ثابت بن قرة، و جيش الأعسم و غيرهم.

و أبرز هؤلاء حنين بن إسحق "فقد كان لهذا الرجل أثر بارزاً على النقل و يعد أستاذاً فيه. فإنه ترجم من كتب جالينوس خمسة و تسعين كتاباً إلى اللغة السريانية، و ترجم منها إلى العربية تسعة و ثلاثين كتاباً، و أصلح مما نقل تلاميذه ستة كتب إلى اللغة السريانية، و نحواً من سبعين كتاباً إلى اللغة العربية. و أصلح كذلك، معظم الكتب التي نقلها إلى السريانية سرجيس الراسعيني و أيوب الرهاوي، و غيرهما من الأطباء، و قد وصلت إلى خمسين كتاباً.

و كان المأمون يعطيه من الذهب زنة ما ينقله إلى العربية مثلاً بمثل، و لذلك فقد كان حنين يكتب الترجمة بحروف غليظة و أسطر متفرقة على ورق غليظ جداً لتعظيم حجم الكتاب و تكثير وزنه. جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، مؤسسة هنداي: مصر، القاهرة، ج ٣، ص ١٧٠.

و كان يشرف قسطا بن لوقا على قسم الترجمة من اليونانية و السريانية و الكلدانية، و يحيي بن هارون على قسم الفارسية القديمة، كما أودعت رئاسة الترجمة من السنسكريتية إلى دبان البراهمي.(8)

مجلس مناظرات في عصره:

أما المأمون فقد أولى مجالس العلم في مختلف العلوم عناية فائقة واهتماما بالغا، ولا سيما بالمجالس الكلامية والنحوية، فقد كان واسع الثقافة يجيد فروعا كثيرة من العلوم وفي كلها كان يناظر العلماء-

وكان يحيي بن أكنم يقول: كان المأمون يجلس للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء فإذا حضر الفقهاء و من يناظر من سائر أهل المقالات أدخلوا حجرة مفروشة، و قيل لهم: أنزعوا أخفافكم، ثم أحضرت الموائد، و قيل لهم، أصيبوا من الطعام و الشراب و جددوا الوضوء، و من خفه ضيق فليزعه، و من ثقلت عليه قنسوة فليضعها، فإذا فرغوا أتوا بلمجامر فبخروا و طيبوا، ثم خرجوا فاستدناهم حتى يدنوا منه، و يناظرهم أحسن مناظرة، و أنصفها و أبعدها من مناظرة المتجبرين، فلا يزالون كذلك إلى أن تزول الشمس، ثم تنصب الموائد الثانية فيطعمون و ينصرفون. (9)

و كان المأمون يجلس مع العلماء من أول النهار إلى آخره، يتناظرون بين يديه، فيرشدهم، و يمددهم الأموال و يتفقددهم إذا غابوا عنه، و يزهرهم في بيوتهم.

و يظهر أن المأمون رمى من مجالسه إلى غرض بعيد، وهو أن تثار بني يديه المسائل الدينية المختلفة؛ فيسمع من كل رأيه و حججه، ثم يفصل في أوجه الخلاف في ضوء هذه الحجج، ورجا من هذا ألا يكون بعد خلاف.

و ذكر محمد بن الفضل الهاشمي قال حدثنا أبي قال: كان المأمون قد أطلق على لأصحابه الكلام و المناظرة في مجلسه، فناظره بين يديه محمد بن العباس الصولي علي بن الهيثم حونقا في الإمامة، فتلقد أحدهما و دفعها الأخر. (10) كانت هذا الجالس و المناظرات في عهد المأمون سببا كبيرا من أسباب الرقي العلمي، فقد حفزت العلماء للبحث و النظر، و حملتهم الجد في تصفية المسائل حتى يظهروا في هذا المجالس مظهر الخبير الثقة الدقيق النظر، و حتى لا يفشلوا فيكون في هذا الفشل القضاء عليهم، كان العلماء يطيلون النظر و يعدون العدة الطويلة لمثل هذا الموقف.

وقد كان للمناظرات في مجلس المأمون تأثير واسع في الحركة العلمية والأدبية والفكرية إذ نجده يوفر كل أسباب الراحة للمتناظرين، فمجلسه يشبه إلى حد ما الندوة العلمية فينتقي، فيها مختلف الأفكار و تطرح العديد من المسائل فاسحة الحرية للفكر يصول و يجول، يساند فكرة و ينقض أخرى بالدليل والحجة والبرهان، وكان المأمون يقف حكما ويفصل بين الآراء و يؤيد بأبلغها حجة و برهان.

مجلس الشورى في عهده:

ظلت الدولة العباسية في أثناء حكم الخلفاء الأوائل حكومة استبدادية، بالرغم من المجلس الاستشاري غير الرسمي، الذي كان يتألف من الوزراء وأفراد الأسرة الحاكمة البارزين، و في الواقع كان الخليفة هو مصدر جميع السلطات و عنه تصدر جميع الأوامر الخاصة بشؤون الدولة، و كان الوزير في الواقع هو نائب الخليفة و يستعمل السلطة المطلقة باسمه. و في عهد المأمون تطور الحكومة إلى حكومة دستورية، و أنشئ الأول مرة مجلس شورى نظام للدولة يمثل جميع الطوائف التي تعترف بسطان الخليفة، و أصبح هذا الديوان يضم المسلمين و اليهود و المسيحيين و الصابغيين و الزراشتيين على حد سواء، و كانت حرية الاعتقاد و

العبادة مضمونة للجميع، أما الخلافات و ما كان يعقبها من الاضطهادات المؤقتة فلم تكن إلا نتيجة من نتائج أخلاق بعض الحكام المحليين و سوء إدارتهم، بيد أن حرية الاعتقاد في عصر المأمون شملت الجميع، و أضحت مضرب الأمثال في التساهل حتى بلغ عدد الكنائس التي شيدت في عهده ١١٠٠٠ كنيسة علاوة على مئات الهياكل اليهودية و معابد النار. (11)

الخروج في عهد عبدالله المأمون:

يمتاز عهد المأمون بوجود أثر تاريخي يدل على مقدار الجباية الخراجية من جميع الأقاليم التي كانت تحت حكم الدولة العباسية، و هو الثبت الذي نقله العلامة ابن خلدون في تاريخه. فجموع الخراج من الدراهم ٣١٩٦ دراهم و ٣٨١٧ دينار و من العروض ما ذكر أمام كل إقليم و إذا قوم بلغ شيئاً كثيراً. و كان هذا كله يرد إلى بغداد حاضرة الخلافة، و يتصرف فيه الخليفة فيدفع منه أرزاق وزرائه و عماله ع حاشية و يصرف منه في الحوادث التي تعرض للدولة من تجهيز الجيوش و الباقي بعد ذلك كثير يهب منه ماشاء لمن شاء و ذلك مقدار وافر يدور معظمه في الحاضرة الكبرى فيزيدها سعة و رخاء و ترفاً. (12)

حركة للأمن في عصره:

كان المأمون عدلاً منصفاً إلى حد بعيد، و قد عرف فيه الناس هذه الخلة، فكانوا يطمعون في أنصاره و المقربين إليه، و يجهرون بالشكوى، من كل من يسوءهم طعمه أو ينفذ إليهم عدوانه. كان المأمون حريصاً على قراءة كل الشكاوى و المظالم التي تصل إليه، يحققها بنفسه و يشير في كل منها بالرأى الذي ينصف المظلوم من الظالم. و كان المأمون يعمل بهذه الحكمة طوال حياته، فكان يجلس للمظالم كل يوم أحد من الصباح حتى ظهر، و ذلك منذ قدم إلى بغداد. (13)

عناية بالعلم و العلماء

ان المأمون شاعراً، وعالمًا، وأديبًا، كما كان للفقهاء نصيب كبير من اهتمامه، وكان العلماء والأدباء والفقهاء لا يفارقونه في حضر أو سفر، وكان تشجيعه للعلوم والفنون والآداب والفلسفة ذا أثر عظيم في انبعاث حركة أدبية وعلمية زاهرة، ونهضة فكرية عظيمة امتدت أصداؤها من بغداد حاضرة العالم الإسلامي ومركز الخلافة العباسية، إلى جميع أرجاء المعمورة، فقد استطاع المأمون أن يشيد صرحاً حضارياً عظيماً، وأن يعطي للعلم دفعة قوية ظلت آثارها واضحة لقرون عدة.

كان عصر المأمون ألمع عصور التاريخ الإسلامي دون منازع، و لا جرم أن دراسة العلوم و نشر الثقافة أكبر دليل على رقي الشعب و تطوره، فقد كان البلاط يعج بالعلماء و الشعراء والأدباء و رجال الطب و الفلاسفة، الذين كانوا يهرعون إليه من كل حذب و صوب على إختلاف مذاهبهم و نحلهم، و كان يتفاني في إكرامهم، و يشمل كل من يقصده منهم ببره و عطفه دون أي تفرقة.

و يقول مؤرخ الفرنسي:

إن المأمون طبع عصره بطابعه الخاص، و أكسبه تلك العظمة الأدبية التي اشتهر بها فيما بعد. (14) و كان له ولع شخصي بالأمر العلمية و الفلسفية.

و يقول ابن العربي:

و كان أول من عني منهم بالعلوم الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور .و كان مع براعته في الفقه كلفا في علم الفلسفة و خاصة في علم النجوم ،ثم لما أفضت الخلافة فيهم إلى الخليفة السابع عبدالله المأمون تم ما بدا به جده المنصور و فأقبل على طلب العلم في مواضعه ،و داخل ملوك الروم و سألهم صلة بما لديهم من كتب الفلسفة ،فبعثو إليه منها ما حضرهم و استعان بمهرة التراجم و كلفهم إحكام ترجمتها فترجمت له على غاية ما أمكن ،ثم حرض الناس على قراءتها.(15)

أهم أعمال في العهد عبدالله المأمون:

أنه عبدالله المأمون كان جل اهتمامه منصب حول العلم، و تشجيع المتعلمي و العلماء ،على العلمي والتطور ،و في خلافته زادت العناية بيت الحكمة لما أثر عن المأمون من محبته للفلسفة ،و العلوم العقلية. كان المأمون يعطه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب فترجم خمسة و تسعين كتاب سريانية و تسعة عشر كتابا بالعربية ،فضلا عن تأليفه العديدة.

و كان المأمون أول خليفة يؤسس مجلسا منظما للدولة يمثل فيه كل طائفة تدين له بالطاعة ،و تمتع أولئك الممثلون بالحرية التامة في التعبير عن آرائهم دون أن تعرقل مناقشتهم،و ظل المجلس مستمرا عهد الخلفاء المآخرين أيضا و عندما انقسمت الإمبراطورية إلى إمارات اتخذ كل أمير لنفسه مجلسا خاصا به،مقلدا بذلك مجلس الخليفة. (16)

قام بإنشاء أول مرصد فلكي في بغداد.

حاول أن يتعلم اللغة الهيلوغريفية القديمة،و اهتم كثيرا بالآثار الفرعونية .

دعم لكثير من العلماء في محاولات ،حساب محيط الكرة الأرضية و ارتفاع الشمس.

الكتاب في عهد المأمون:

كانو مجموعة الكتاب و موظفي الديوان الذين عرفوا في المجتمع الإسلامي بالكتاب .لقد بدء ظهور هذه الفئة من الموظفين منذ العهد الأموي،و انتشرت تدريجا مع زيارة حجم الإدارات الحكومية ،و زادت أهميتهم حتى جاء العصر العباسي الأول،فاعتبرت هذه المجموعة من الموظفين أحد المجموعات المؤثرة في المجتمع العباسي و ركنا هاما من أركان الدولة.و تنوع الكتاب تبعا لتنوع الدواوين العصر العباسي الأول:فكان منهم كتاب الرسائل و كتاب الرسائل و كتاب الخراج و كتاب الجند و كتاب الشرطة و كتاب القاضي .

و كان هناك طائفة من الكتاب في العصر العباسي الأول لم يسمح الدهر بتمثلهم :فاشتهر في عصر المأمون أحمد ابن يوسف و أحمد بن أبي خالد و علي بن الهيثم و عمرو بن مسعدة و محمد بن يزيد و الجرجاني والقاسم بن يسار و أبو عباد الكاتب و أبو الفضل بن عمر بن فرج ،و على هذا النحو حرص الخلفاء على أن تدون الرسائل بأسلوب شائق بليغ.كما حرصو على إختيار كتابهم من رجال الأدب من أعرق الأسر ،و ممن عرفو بسعة العلم و رصانة الأسلوب.(17)

أقوال العلماء لعبدالله المأمون

١. قال إبراهيم بن محمد بن عرفة قال :

حكى لي عن أبي عبادة انه ذكر المأمون يوماً فقال، كان والله أحد ملوك الأرض، وكان يجب له هذا الإسم على الحقيقة. (18)
٢. قال ابن طباطبا:

و أعلم أن المأمون كان من عظماء الخلفاء و من عقلاء الرجال و له اختراعات كثيرة في مملكته. أنه أول من فخص منهم عن علوم الحكمة و حصل كتبها و أمر بنقلها إلى العربية و شهرها و حل إقليدس و نظر في علوم الأوائل، و تكلم في الطب و قرب أهل الحكمة. (19)

٣. قال أبي حنيفة الدينوري:

كان عبدالله المأمون شهماً، بعيد الهمة، ابى النفس، وكان نجم ولد العباس في العلم والحكمه، وقد كان أخذ من جميع العلوم بقسط، و ضرب فيها بسهم. (20)

٤. قال الطبري:

و كان فصيحاً سريع البديهة حاضر الجواب وله في هذا مواقف بديعة .

٥. قال محمد إلهامي :

المأمون كان رجلاً شجاع العقل، واسع الأفق ذكياً المعياً جريئاً على التفكير و النظر، و كانت مشكلته في إستكمال العدة من القرآن و السنة، و لذا صدرت عنه أكثر من بدعة. (21)

قال أبو معشر العجم:

كان أماراً بالعدل، محمود السيرة، ميمون النقيبة، فقيه النفس، يعد من كبار العلماء. (22)

قال سيد أمير علي:

أن المأمون كان قوي البينة بهي الطلعة، لا يضارعه أحد من بنى العباس هيبه وقارا؛ نظراً لما كان يتجلى به من الشجاعة والإنصاف و شدة العزم و بعد الهمة و البسالة و غيرها من الصفات المحمودة و الخصال السامية، و قد سجل التاريخ سلسلة طويلة من الوقائع و الحوادث الخالدة، و على الجملة لم يسبق أن أعتلي عرش الدولة العباسية خليفة يضاوية حكمة و بعد النظر. سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب، تاريخ ص ٢٤٦.

فتنة خلق القرآن:

موضوع خلق القرآن هو فرع عن موضوع البحث في الله و في الصفات الإلهية، و هو أمر أوصانا الاسلام بترك البحث فيه بمجرد العقل، لأن عقول البشر غير مهياة لفهم كنه الإله الذي خلقهم إلا في ضوء الوحي، لكن الفرقة المعتزلة كانت الأجرأ على اقتحام هذا المجال و البحث فيه بمجرد العقل و إهمال النصوص المانعة من هذا.

على أن هاتين البدعتين تھونان أمام البدعة الأكبر في عهد المأمون ... و هي البدعة القول بخلق القرآن. خرج المأمون على الناس ربيع الأول ٢١٢ هـ بالقول خلق القرآن، و بالقول بأن علي بن أبي طالب هو خير الناس بعد النبي على الإطلاق.

قال نبطوية إبراهيم بعث المأمون مندباً، فنادى في الناس ببراءة الذمة ممن ترحم على معاوية، أو ذكر بخيره، و كان كلامه في

القرآن سنة اثنتي عشرة و مئتين ،فأنكر الناس ذلك،واضطربوا،و لم ينل مقصوده.(23)

و في سنة ٢١٨ في ربيع الآخر كتب المأمون إلى اسحاق بن إبراهيم في امتحان القضاة و المحدثين و أهم نقطته هي أن القرآن مخلوق. و أمراسحاق بن إبراهيم أن يختبر قاضي بغداد،جعفر بن عيسى و عبدالرحمن بن إسحاق فأن أقرأ بهذا بقيا في مناصبهما،و لإعزلا عنها لأن "أمير المؤمنين لا يستعين على شئ من أمور المسلمين إلا بمن وثق بإخلاصه و توحيده لمن لم يقر بأن القرآن مخلوق"ثم في بدآ في اختبار من يأتي إليهما من الناس فمن لم يقل بأن القرآن مخلوق أبطل شهادته و لم يؤخده بها و لم يحكم بنقضهاها.

ثم بدأت حملة سلطة على العلماء و الفقهاء و الناس بكل شراسة،فمن لم يقل صراحة بأن القرآن مخلوق عزل من وظيفته ،و منع عنه راتبة من بيت المال و إن كان مفتيا منع من الأفتاء،و إن كان صاحب درس منع من التدريس،و إن كان محدثا منع من رواية الحديث ،و نزلت الدولة بكل ثقلها تريد فرض هذا الأمر على الناس قسرا،و سعى نائب بغداد في جمع الفقهاء و العلماء ووجوه الشيخ و امتحانهم في هذا القول بخلق القرآن ،فمنهم من استجاب ،و منهم من استجاب،و منهم من استجاب كارها و مضطرا،و منهم من تحايل على الاستجابة بحيل لفظية يخرج بها من الضرر و لا يقع فيها في الحرام ، و نهم من رفض و امتنع عن الستجابة ، و كان على رأس هذا القسم الأخير الإمام أحمد بن حنبل.(24)

ثم بأمر المأمون جمع نائب بغداد و من لم يقل بخلق القرآن و امتحنهم للمرة الأخيرة فأما القول بأن القرآن مخلوق و إما أن يقتل ،فلم يثبت على القول إلا أربعة هم،أحمد بن حنبل ،و محمد بن نوح،و الحسن بن حماد سجادة،و عبيدالله بن عمر القواريري.فقيدهم اسحاق استعداد لإرسالهم،ثم أعاد التحقيق معهم في اليوم الثاني فتراجع الحسن من حماد،ثم أعاده في يوم الثالث فتراجع القواريري،فلم يبق ثابتا على موقفته إلا أحمد بن حنبل و محمد بن نوح،فأرسل بهما مقيدين على جملين إلى طرطوس.

و استجاب الله لدعوة الإمام أحمد بن حنبل إذا دعا أن "لا يجمع الله بينها و بين المأمون و أن لا يراه و لا يراها"، فتوفي المأمون قبل أن يصل إليه أحد منهم فأعيدو جميعا إلى بغداد.

و غالب الظن أن أحد لم يصطل بنار هذه الفتنة غير علماء العراق،فعند الزبير بن البكار رواية عن سجال في هذا الأمر بين المأمون و بين أبي مسهر الدمشقي،و كان المأمون في دمشق ،و على رغم من تمك أبي مسهر بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ،فإن المأمون لم يؤذه بل أخرجه قائلا : "أخرج قبحك الله و قبح من قلدك دينه و اتخذك قدوة"(25)

و من مميزات العصر العباسي اشتغال الخلفاء و الأمراء بالعلم و الأدب و أخبار المنصور و الرشيد و المأمون و أقربهم ووزرائهم و شعرائهم تملأ كتب الأدب و التاريخ العربي و كان من حياتهم أعظم دافع لاشتغال الرعية بطلب العلم و النبوع فيه .و من مفاخر هذا العهد اطلاق الفكر من قيود التقليد حتى تعددت البدع و تفرعت الفرق.

المصادر و المراجع:

1. محمد الحضري بك،محاضرات التاريخ الأمم ،ت محمد عثمان،دار القلم،بيروت،لبنان،ط ١ ،١٩٨٦،ص ٢٣١.

2. علي بن إبراهيم: النقل و الترجمة في الحضارة الإسلامية، مكتبة الملك فهد: الرياض، ط ٢٠٠٦، ص ١٣٢.
3. ابن أبي أصبعية: عيون الأنباء و طبقات الأطباء، ت نزار رضا، دار مكتبة الحياة: بيروت، ص ٢٥٩.
4. مصدر سابق، ص ٢٦٠. ابن العربي، تاريخ مختصر الدول: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١٩٩٧، ص ٢٣٦.
5. خضر أحمد عطاء الله: بيت الحكمة في العصر العباسيين، دار الفكر العربي: القاهرة، ط ١، ص ٣١.
6. محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، بيروت، لبنان، ص ١٣٥.
7. عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، دار العلم للملايين: بيروت، لبنان، ص ٢٧٣.
8. سيد أمير علي: تاريخ العرب و التمدن الاسلامي، دار الآفاق العربية: القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٢٤٠.
9. المسعودي: مروج الذهب، مكتبة العصرية: بيروت، ط ١، ص ١٨.
10. أبو الفرج الصفهاني: الأغاني، ت عبد السلام محمد هارون، دار الكتب المصرية: القاهرة، ج ١٥، ١٩٥٩م، ص ٢٣٤.
11. سيد أمير علي: تاريخ العرب و التمدن الاسلامي، دار الآفاق العربية: القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٢٤٠.
12. محمد الخضري بك، محاضرات التاريخ الأمم، ت محمد عثمان، دار القلم، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٦، ص ١٩٠.
13. مصطفى هدارة: المأمون خليفة العالم، الدار المصرية للتأليف، ص ١٥٢.
14. سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب و التمدن الإسلامى، ص ٢٣٩.
15. ابن العربي، تاريخ مختصر الدول: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١٩٩٧، ص ٢٣٦.
16. حسيني: إبراهيم أحمد العدوي، الإدارة العربية، ص ٢٨٧.
17. خالد محمد أحمد بدوي: الحياة السياسية في العصر المأمون الرشيد، ٢٠٠١، ص ٢٣٥.
18. الماوردي: أبو الحسن على بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية: بيروت، ص ٣٠.
19. تاريخ بغداد، ج ١٠، ص ١٩٠.
20. ابن طباطبا: آداب السلطانية، ص ٢١٦.
21. ألدنوري: أبو حنيفة، الأخبار الطوال، ص ٤٠١.
22. الهامي: محمد، العباسيون الأقوياء، مؤسسة إقرأ، القاهرة، ط ١، ص ٥٤٣.
23. الذهبي: سير الأعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٢٧٩. ص ٢٨١.
24. الطبري: تاريخ الرسل و الملوك، ت الفضل إبراهيم، دار المعارف: مصر، ط ٢، ص ٦٣١-٦٣٥.
25. زبير بكار: الأخبار الموقفيات، ت سامي مكّي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٩٦، ص ٤٣-٤٤.

References

- 1 :Muhammad Al khizrii bik , muhaziraat Al tareekh Alumam Taa, Muhammad Usmani, Dar Al qalam, beroott , lubnan, Taa 1,1986, Safah 132
- 2 :Alii bin Ibrahim: Alnaqal wa Al tarjumatah Fee Alhazarataa Islamiyaataa, Maktabataa Almulk fahad: Riyaz, Taa 2006, 3M Safah 132
- 3: Ibn Abii Asbiyataa: ayun Al Ibna'aa wa Tabqaat Al Atba'aa, Taa Nazzar Rizaa, Dar Maktabataa Al Hiyat: Biroot, Safah 659
- 4 : Almasdar Alsabiq, Safah 260. Ibn Al Abree, Tareekh Mukhtasir Al Dool: Dar Alkutab Alalmiyataa , Biroot, Lubnan, Taa 1997m, Safah 236.
- 5 : Khizar Ahmad AatauAllah: Baiett Alhikmataa Fee Alasar Al Abasiyeen, Dar Al Fikr Al Arbii: Alqahirataa, Taa 1,Safah 31

- 6 :Muhammad Saheel Taqoosh: Tareekh Al Doolataa Al Abasiyataa, Dar Alnafaais, Biroot, Lubnan, Safah 135
- 7 :Umar Farookh: Tareekh Al Fikr Al Arbii Lilal Ayyam Ibn Khaldoon, Dar Al ilam lilmalaayeen: Biroot, Lubnan, Safah 253
- 8 :Saeed Ameer Alii: Tareekh Al Arab wa Al Tamadan Al Islamii, Dar Al Aafaq Al Arabiyataa: Al qahirataa , 2001m Safah 240
- 9 :Al Masoodii: Marooj Al Zahab, Maktabataa Al Aasaryataa: Biroot, Taa 1, Safah 18
- 10 :Abuu Al Farajj Alsafhanii: Al Agaanii, Taa Abdul Islam Muhammad Haroon, Dae Alkutab Al misriyataa: Qahirataa, Jild 1959, 15m Safah 234
- 11 :Saeed Ameer Alii: Tareekh Al Arab wa Al Tamadan Al Islamii, Dar Al Aafaq Al Arabiyataa: Al qahirataa , 2001m Safah 240
- 12 :Muhammad Al khizrii bik , muhaziraat Al tareekh Alumam Taa, Muhammad Usmani, Dar Al qalam, beroott , lubnan, Taa 1,1986, Safah 190
- 13 :Mustafa Hadarataa: Al Mamoon Khlifataq Al Aalamm, Al dar Almisriyata liltaleef, Safah 152
- 14 :Saeed Ameer Alii: Mukhtasir Tareekh Al Arab wa Al Tamadan Al Islamii,Safah 239
- 15 :Ibn Al Abrii, Tareekh Mukhtasir Al Dool : Dar Alkutab Alalmiyataa, Biroot, Lubnan, Taa 1998, 1m Safah 236
- 16 :Husainii Ibrahim Ahmad Al Oduviii Al Iradata Al Arabiyataa, Safah 278
- 17 :Khalid Muhammad Ahmad Bidoovii : Al Hiyata Al Siyasiyata Fee Al Asar Almamoon Al Rashid, 2001, Safah 235
- 18 :Al Mawardi: Abu Al Hasann Alii Bin Muhammad, Al Ahkaam Al Saltaaniyata Wa Al Walaayaat Al Diniyata, Dar Al kutab Al Almiyata : Biroot, Safah 30
- 19 :Tareekh Bhagdad, Jild 10,Safah 190
- 20 :Ibn TabaTaba : Àadab Al Sultaaniiyata, Safah 216
- 21 :Al diinoori: Abu Hanifata, Al ikhbar Al Tawal, Safah 401
- 22 :Alhamii: Muhammad, Al Abasiyon Al Akwayaa, Mosataa Iqra, Qahirataa, Taa 1, Safah 543
- 23 :Al Zahbii: Seer Al Aalaam Al Niblaa Jild 10, Safah 279 Safah 281
- 24 :Al Tabrii: Tareekh Al Risal wa Al Malok, Taa AlFazal Ibrahim , Dar Al Muarif: Al Misar, Taa 2, Jild 8, Safah 631- 635
- 25 :Zubair Bakar: Al ikhbar Al Mofiqtat, Taa Saamii Makii, Aalamm Al kutab, Biroot, Lubnan, Taa 2 ,1996, Safah 43-44